نـافـذة

الإيمان سياسة

الكيان والدولة يرتسمان ويرسمان من خلال واقعية الحياة المتعلقة بين الدين والسياسة، وظهور جدلية الاتفاق والاختلاف المنضوية دائماً تحت ألعاب الإثارة المشبوهة التي تفصل بينهما، يعيدنا إلى مفاهيم أن لا عداوة مطلقة أو دائمة في السياسة، وكذلك تكون الصداقات، حيث لا استمرار فيها، فصديق اليوم عدو الغد، وعدو الأمس صديق اليوم، هكذا هو الحال في السياسة التي تعني فنّ إنتاج الممكن، وارتكازها على نظرية المصالح. أما في الأديان فإنها جاهزة دائماً، تسكن تحت الرماد، لا تقبل التقنين بحكم تمسكها بقوامها ومقوماتها، وبشكل خاص الديانة الإسلامية ذات التنوع الكبير في فرقها وشعبها وتضخم فوارقها، على الرغم من أن منشأها واحدٌ، حيث من المفترض أن بها اكتملت وحدة الأديان، وحينما نسعى للبحث عن أسباب انقسامها ندرك بسرعة أنها نتاج خلاف أو اختلاف على منهج أو حقٍ أو فكرة، فإن لم يبادر الكل إلى إيجاد حل وإحداث ذاك التطور في المنهج والفكر، الذي يؤدي إلى إفناء من يذكي النار فيها، وإلا بقيت عناصر العداوة التي تذهب بالأطراف لما لا يحمد عقباه. ولنأخذ أمثلة خلافية قائمة بين فروع الشجرة الإسلامية الواحدة التي يعترف جميع المسلمين بها، وبأركانها الإيمانية المشتركة، والمتجلية بالله والرسول والكتاب المكنون، والكيفية التي يختلفون عليها في السنن والأحاديث والتعاليم، ويتهمون بعضهم بعضاً بالباطنية (التقية)، وأحقية الخلافة لمن، ومَنْ مَنَ الخلفاء الأربعة الراشدين كان يستحقها أولاً، ويستحضَرون دائماً على طاولات حواراتهم وموائدهم أحداث السقيفة، ومعركة صفين، وحادثة الجمل، وولاية الفقيه، وتنوع الأرباب تحت مظلة الكلي، واستمرار الخلفاء، ومن جوهر من، وعلاقة الباب بالمدينة، وعتب إغلاق باب النبوة، وعلمية أمير الأمراء، واستمرار التأويل الديني اللاعلمي، وثقافة إخفاء الحقائق، وتعميم التجهيل من خلال تأكيد أمية الرسول، على الرغم من علميته وعلمية الباب، ثنائية لولاها لما كان هناك إسلام ولا مسلمون، وجاهلية ما قبل الإسلام التي كان التحضر الراقي يسكنها من دمشق، إلى بغداد، إلى طيبة مصر، وصولاً إلى ما كان بين بكة والقليس، حيث كان الحنيفيون والوثنيون والصنميون والصابئة، ومع اليهود والمسيحيين، وقبل كل ذلك الآمونيون (آمون) المتحول إلى (أمين) ضمن بواتق جعلت منهم نماذج للحياة الإنسانية الراقية في هذه المدائن، وجلها –إن لم يكن جميعها– عمليات تجهيل خبيثة، برمجت بغاية اصطياد الإيمان وتعزيز التخلف، في الدين الواحد، وأيضاً بين الأديان ومنبتها الواحد وترسيخ ذلك في ذهنية المسلم الذي لم يدرك حتى اللحظة ماهية الفرق بين الإيمان والإسلام، صناعة يمررها الأئمة والمفسرون بدهاء الماضي الذي استسلموا له، إضافة إلى وجود المرتزقة المؤججين المضخمين المستمرين والمعززين لنقاط الخلاف، المتجاهلين لركائز التوافق، الذين جعلوا من السلم حرباً، ومن الود عداوة، ومن الاتحاد فرقة، هكذا هو حال اللاعبين المشتغلين في قضايا التفاصيل، التي تسكنها الشيطنة، نراهم يدققون في الفواصل والنقاط وإشارات التعجب، ورمي الأسئلة الحاملة للفتنة بين الأطياف الإسلامية وتمتع الكل بالخرافات والأساطير والحكايات التي نسجت حول كل منها ترمى باستمرار، يتناولها العامة، كلما طفت حالة تقارب أو محاولة للقاء ومن كل الأطراف، فندرك أنّ من يسعَ لتحجيب العقل فغايته إبقاء هذه الأمة متخلفة ومشرذمة، والذي يعتبر أخطر من حجاب الرأس وقلنسوات الأئمة والكهنة الذين أسكنوا تحتها كهن الخلاف والاختلاف وتفاسيرهم المفرقة بين فروع الشجرة الأصل التي يحمل جسمها الإيمان، يغذي فروعها منه، وإني لأعتقد أنه حان وقت استنباط الوعي من الوعي، واسترجاع الذات المنطقية، كي يتم التخلص من كل هذه القضايا الخلافية التي توالدت بسبب الانهيار والانحطاط الإسلامي الذي حضر مع الغزوات المتتالية لجحافل الغرب والشرق والشمال والجنوب، وظهور الحالات الهجينة، ودخول الدونمة التي عززت الخطيئة، وتمسكت بها، وأعلت من شأنها، حتى غدت واقعاً، فبنت الحواجز، ومنعت حضور أي اتفاق أو وفاق.

الدين كيان، السياسة دولة، فمهما بلغ أيّ كيان، نجد أن ارتكازه الرئيس على دين أو مذهب أو طائفة، أما السياسة فارتكازها على الأرض والإنسان والحدود والمجتمع، ومنه ندرك أن المال يحتاج إلى السياسة، فمن دونها لا يستطيع الحركة، لأن أدبيات السياسة تتعلق بفن حكم الشعوب، والمال حياته، الدين يرتكز إلى المنظومة الخلقية القادمة من الإله إلى أنبيائه ورسله وكتبه وأوليائه وثوابت تعاليمه، تتملكه الشمولية والدعاية، وفي الوقت ذاته يحتاج إلى الرعاية، لأنه إذا انفلت أطاح بكل شيء، وأباح له، واستباح كل شيء، المال متحرك الأديان، ثوابت ذلك لا يمكن أن يلتقي المال والدين، لأن الدين يدعو لإنفاقه في سبيل الله، والسياسة تدعو لتكون قوية، ولا يمكن لها أن تكون كذلك، من دون امتلاكها للمال.

السياسة دولة اجتماعية اقتصادية عسكرية أمنية، والدين كيان يتوطن الإنسان، ويشار به إلى ديانة السياسة؛ أي ديانة الدولة، لم ينجح أي دين في السيطرة على السياسة؛ أي على أي دولة، إنما نجحت السياسة في السيطرة على الأديان، وأكثر من ذلك جعلته في خدمتها، أو على الأقل في خدمة مشاريعها الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية، لذلك نجد أن العلاقة بين الدين والمال فاشلة، بينما بين المال والسياسة ناجحة إلى حدٍّ كبير، وأيضاً هناك جدلية تستمر بين كل ذلك، وبشكل خاص بين الدين والسياسة، ما يمنح فرصاً هائلة للتأمل والبحث، حيث نجد ليس الإثارة المشبوهة فقط، إنما إثارات مذهلة يقف العقل الإنساني المؤمن بالحياة عندها، فإما أن يتوافق معها، وإما أن يرفضها ذاهباً إلى البحث العلمي والجدلي، وغايته اكتشاف المزيد من الشبهات المثيرة تحت مسمى العملية التكوينية.

هي الحياة ونظمها التي وُجدت عليها، وأخذت بالحركة الدؤوبة التي علمت أنّ الإيمان وزع بين الأناسي حيث حولته السياسة إلى أديان، فابتعدت عنه، وقسمتها إلى مذاهب وطوائف، فكانت منها الكيانات الدينية التي فاقت آلاف المرات عدد الدول التي تديرها السياسة بحنكة وفن وتلاعبات، متى ندرك أنّ الإيمان بأي شيء إيماناً حقيقياً يحوله إلى مُعرِّف، ويكون السبيل الوحيد للنجاح شريطة أن يمتلك الإخلاص.

د. نبيل طعمة

«المرأة قلب يخفق» توثيق رحلة المرأة السورية

الدكتورة نجاح العطار شهدت تصدر المرأة السورية وتعمل على تخليص واقعها من الشوائب

شهادة للمرأة السورية وتفوقها في جميع الميادين السياسية والاجتماعية

إسماعيل مروة
«ت: طارق السعدوني»

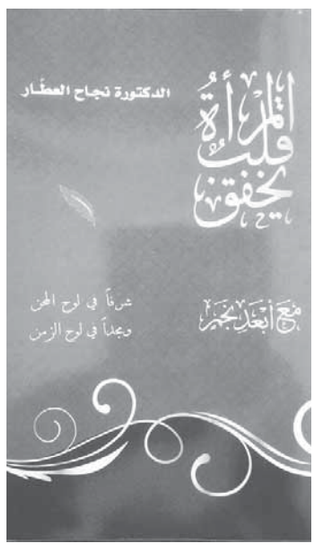

المرأة هل تشكل نصف المجتمع؟ هل هي المجتمع؟ هل هي صلب المجتمع القادر على النهوض به؟ هل تقف على هامشه وتنتظر حصة محددة لتأخذ مكانتها؟ هل أنصفها المجتمع وأعطاها دورها اللائق؟ هل أخذت مكانتها في الغرب وضاعت في الشرق؟ أسئلة وأخرى كثيرة تأتي إلى الذهن كلما دار نقاش عن المرأة ودورها، وخاصة أن كثيرين يرون أن دور المرأة يأخذ من دور الرجل، وربما انتقص منه، وربما سلبها أدوارها هي! وبعضهم حدد للمرأة أدواراً لا تتعداها، وفصّلها على مقاسه ورغباته، وبما يخدم أنانيته ومنطلقاته... فماذا عن دور المرأة؟ وكيف تم تعزيزه وتطويره عبر مراحل زمنية وعقود؟ وكيف تحول وجود المرأة إلى وجود مقبول ومرحب به؟ بل كيف صار غياب المرأة عن المشهد الفاعل مستهجناً وبعيداً عن المنطق؟

المرأة قلب يخفق

مع أبعد نجم، المرأة قلب يخفق، مع أقرب نجم ومنصة وحضور حددت السيدة الدكتورة نجاح العطار في كتابها الجديد الصادر عن الهيئة السورية العامة للكتاب في وزارة الثقافة مصطلحاً مهماً وهو أن المرأة قلب يخفق مع أبعد نجم، يخفق في المحن، يبقى على لوح الزمن، بعيداً عن الإنشائية، وبعيداً عن المظلومية والإحساس بها كتبت الدكتورة العطار ووثقت لدور المرأة، والأكثر أهمية في هذا الكتاب أن المؤلفة الأديبة لا تقصي المرأة الفاعلة لمصلحة وجودها، فهي توثق لدور المرأة اجتماعياً وثقافياً وسياسياً وحضارياً، وتجد أن خفقان قلب المرأة، أو خفقان قلب الوطن بالمرأة أعطاها هذا الدور، ومنحها تلك المساحة الكبيرة التي تهيأت لها في سورية، وكانت منارة للزمن من خلال احتفاظ المرأة بدورها، وتوسع طيف حضور المرأة في كل منحى من مناحي حياتنا بدءاً بالثقافة ووصولاً إلى أعلى المناصب، التي كانت في سورية عن جدارة واستحقاق، ولم تخضع طويلاً لمبدأ الحصة السياسية، وقد نما دور المرأة السورية، وازداد خفقان قلب المجتمع بمشاركتها الفاعلة والفعالة حتى تحولت إلى جزء لا يمكن إهمالها في المشهد السياسي والاجتماعي، بل لا يمكن أن يكتمل المشهد من دون وجود المرأة، بل صار المواطن العادي عند كل فاصلة يسأل: أين المرأة؟ ماذا عن دورها؟ لماذا لا يوجد دور للمرأة؟ هذا المشهد الحضاري لم يكن وليد اليوم أو اللحظة، وهذا ما تقوم السيدة الدكتورة نجاح العطار في كتابها بوضعه في السياق التاريخي والمنطقي.

أهمية الكتاب

تأتي أهمية الكتاب من جوانب عديدة، لعلّ أهمها:

– وثيقة مكتوبة بلغة أدبية عالية، لأديبة عرفت لغتها وترفها اللغوي الذي يرقى بالقارئ، فنحن لسنا أمام وثيقة تفتقد عناصر بقائها كنص أدبي مميز له مكوناته وخصوصيته.

– أمام رصد متتابع زمنياً لخفقان قلب المجتمع بالمرأة التي هي الدم الحقيقي له، وهذا الرصد يتابع التحولات التي كانت للمرأة وحضورها عبر عقود من الزمن.

– تتجنب الكاتبة الدكتورة العطار الإنشاء والحديث عن مظلومية المرأة، وتكتفي بالحديث عن تطور دور المرأة، لإدراكها بسيرورة التاريخ، وبأن ما أوكل للمرأة وأثبتت جدارتها فيه يفترض أن ينمو ويزداد، ولن يقدر أحد على سلبه، وأي حديث ارتدادي على المجتمع ومكوناته لن يكون مفيداً بقدر النظر إلى الأمام.

– توثيق ريادة المرأة السورية على المستوى العربي وعلى مستوى العالم بسبب القراءة المنطقية لمنهج القيادة السياسية التي راهنت على المرأة ودورها وخياراتها، وهي بذلك تقدم وثيقة مهمة للغاية يحسن أن نتوقف عندها للتمعن فيما قامت به المرأة لا بما قدم لها أو أعطي، وعدم إغفال أن المرأة مشروع تنويري ضمن مشروع حضاري وطني متكامل..

وفي تقديمها للكتاب الوثيقة تبرز الدكتورة العطار ما يمكن أن يتحقق للمجتمع من إعطاء المرأة دورها، والثقة بها «الموقف من المرأة موقف حضاري، فبقدر ما تتقدم المرأة وتتعلم وتعمل، وتتبوأ المناصب، وتتولى المسؤوليات، وتتقلد زمام الأمور، وتشارك في الحياة الاجتماعية والسياسية والتنموية لبلدها، وتصبح وزيرة وسفيرة ونائباً وقائدة نقابية ومهندسة وطبيبة ومحامية، أي بقدر ما تشارك في كل وجوه النشاط السياسي والحزبي والإداري والاجتماعي والنضالي، تكون عنواناً بارزاً من عناوين تقدم ذلك البلد، ورمزاً حياً لرقيه، ودليلاً ساطعاً على أخذه بأسباب الحضارة، ولحاقه بموكب البشرية المندفعة، في عصرنا، اندفاعة العاصفة في مسيرتها إلى أمام».

فالمرأة حسب هذا الطرح المتقدم ليست فرداً بذاتها، بل إن وجودها ودورها دليل على قضايا عديدة:

– مشاركتها عنوان تقدم البلدان.

– وجودها رمز للرقي.

– إطلالتها عنوان للحضارة بارز.

– إسهامها يدفع موكب البشرية المندفع.

وهذه القضايا التي أجملتها د. العطار ليست ذات جانب واحد، فمشاركة المرأة في مجتمعها تقدم هذه القضايا، وانحسار دورها لا يعني غيابها، بل يعني كما توحي سيرورة التاريخ والعبارة نكوصاً للمجتمع بتمامه، وردّة كاملة عن التقدم والرقي والحضارة وموكب البشرية، فهل نحن قادرون على البقاء في أماكننا؟ وهل تتحمل مجتمعاتنا النكوص والردة إلى الخلف؟ من المؤكد لا، ولابد من القلب الخافق المتمثل في المرأة.

استدعاء المرأة والثقة بها

لم تكن المرأة لتأخذ موضعها في سورية لولا القيادة السياسية التي آمنت بدورها، وعملت على تعزيزه في كل مجال من المجالات التي وجدت فيه المرأة السورية، وتظهر الدكتور العطار أن المرأة السورية تحديداً بين النساء العربيات أخذت هذا الموقع لأن القيادة السياسية أرادت لها ذلك «لقد كان الرئيس حافظ الأسد، في حكمته وقيادته الفذة قدوة في هذا المجال، إنه لم يرسم في خطابه التاريخي بمناسبة العام الدولي للمرأة، المفهوم النظري لإنصافها، بل أوصى، ووضع وصيته موضع التطبيق، بأن تتولى كل المسؤوليات، وأن تتبوأ كل المراكز القيادية، وأن تشارك الرجل عبء المسيرة الثورية... أضيف مؤكدة أن وضع المرأة في قطرنا وضع رفيع المستوى، عالي المكانة، وهي في صلب عملية إنشاء الدولة الحديثة، وبناء النهضة التي تشمل كل ميادين العلم والعمل، وقد حدد السيد الرئيس البشار دورها تحديداً عملياً دقيقاً، ودعا إلى إعطائها ما تستحقه في الحياة السياسية، وما هو جدير بها..» فالعملية ليست حصة سياسية بقدر ما هي وضع منهج ثابت لوجود المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية والسياسية، وفي بناء المسيرة الثورية للمجتمع السوري، وهذا المنهج الذي وضعه الرئيس حافظ الأسد عززه وزاد فيه الرئيس بشار الأسد، الذي أعطاها دورها الذي هي جديرة به، والجدارة أمر مختلف تمام الاختلاف عن الحصة التي لا تزال دول كثيرة في المنطقة والعالم المتحضر تعمل عليها، وما وصلت إليه المرأة السورية لم تصل إليه امرأة أخرى عربية أو في العالم، لذا أصبح وجود المرأة في التشكيلات والقيادات السورية أمراً طبيعياً ومطلوباً في كل صعيد من صعد الحياة الاجتماعية.

> بنية سياسية وفكرية أتاحت للمرأة السورية أن تكون شريكة ومشاركة

المرأة ومسيرة تعزيز

لم تشأ الدكتورة العطار أن تقدم آراءها في المرأة، فذاك يخرج الحديث عن مساره، ولذا جاءت فصول الكتاب وعناوينه راصدة زمنياً مسيرة المرأة وحياتها وعطاءها ففي ستة وثلاثين عنواناً ولقاء ومؤتمراً ومناسبة رصدت المؤلفة مسيرة المرأة من دون أن تغفل تضحيات المرأة بكونها امرأة، ولم تأخذها نشوة الحديث عن المرأة المسؤولة، فهي تتناول المرأة أماً وزوجة وأختاً «لقد ناضلت المرأة بنفسها، وبزوجها وأخيها وابنها، نضالاً لا يجارى في الملمات، وفي العصيب من الأوقات، وهذا أشرف في لوح الزمن، ومجد في لوح المحن، لمخلوق لم يطلب، في اللوحين، سوى النصفة، وسوى رفع الضيم، وإزالة الغبن، والتحرر من خلال العمل والعلم، من ربقة عبودية الإعالة، لقمة مقرونة بالنهرة، وحياة ذلولاً لمن أمسك عليها حياتها، في عنترية الذكورة، مقابل سقط المتاع في الملبس والمأكل، وما يستجران من تأنيب وتأديب، يصلان حد الضرب، لا في الشرق فقط، بل في الغرب أيضاً، وفي أميركا خصوصاً».

فالكاتبة هنا لم تأخذها نشوة الفردية في أنها حققت على المستوى الشخصي بغيتها وما تريد، ولم يمنعها ما حققته عن تلمس واقع المرأة المرير في الشرق والغرب، وما تتعرض له المرأة من ذل وهوان مقابل ما يقدم لها من مأكل وملبس، وما بين أول الحديث وخاتمته مفارقة مرة، فهي التي تقدم التضحيات، وهي التي تجود، وفي الوقت نفسه هي التي تتعرض لشتى أنواع الإذلال! وهذا يشكل مصداقية في الحديث والدعوة إذ بقيت المؤلفة مع مجتمعها تتلمس همومه ومشكلاته، وتتابع المرأة وقضاياها، والإنصاف أبعدها عن جلد الذات، فما تتعرض له المرأة كمخلوق مضحٍ لا يقتصر على منطقتنا وشرقنا، بل هو خصيصة مجتمعية ذكورية، وإن كنا نراها في مجتمعنا العربي، فهي واضحة في المجتمعات الأخرى غير العربية وغير الشرقية، وخاصة في أميركا، وبذلك أبعدت هذه الصفة عن تعاليم الديانات وجعلتها مسألة ذكورية لحكم ذكوري طاغٍ.

الكشف عن الحقائق

من موقع المرأة المسؤولة لم تتجاهل الدكتورة العطار واقع المرأة المزري في مجتمعاتنا، ولم تركن إلى أنها حققت شيئاً مهماً، بل بقيت مراقبة ومتابعة وناقدة لوضع المرأة، لأنها ضمن منظومة أرادت للمرأة أن تأخذ دورها، ولا يمكن أن تغفل عن المرأة التي تحتاج إلى دعمها ومساندتها، إضافة إلى كونها امرأة تدافع عن وجودها، وقد اتسمت مواقفها بالمكاشفة ولم تخدع أو تنخدع بواقع لنساء وصلن «افتحي عينيك، هل رأيت النور؟ هل تمتعت بالشمس؟ هل رأيت البحر والقمر والنجوم وصرخت في الوادي وتسلقت الجبل... لماذا أنت عروس من السكر وزوجك عصا من خيزران؟ وتنتهي القصة بأن تظل المرأة مطرقة، لأنهم علموها أن تظل مطرقة!

تقولون إنني أبالغ؟ ما أظن، فهذا الوضع البائس للمرأة قد كان سائداً إلى ما قبل ربع قرن من الزمان، وأنا أزعم أن له بقايا ما تزال، وأن نساء كثيرات، في البيئات الشعبية والأرياف، يخضعن إلى ظروف مشابهة حتى الآن، وأن علينا، نحن اللواتي شققن الطريق أن نساعد أخواتنا أيضاً على شق طريقهن، وأن نتابع السير».

وعلى الرغم مما تتحمله المرأة وما تعانيه كانت مناضلة ومقاتلة في سبيل الوطن وسورية، وإلى النسوة اللواتي وقفن وقفة وطنية في القنيطرة تقول «لقد وقّعت المسيرة النسائية في القنيطرة، بأقدامها الغاضبة وأيديها الثائرة، وكلماتها الصادقة، أبلغ وأعنف احتجاج على القرار الإسرائيلي العدواني بضم الجولان... وكان مشهداً فريداً، يبعث على الفخر، ويستدر الدمع، ذلك الذي رأيناه في قرية مجدل شمس الجولانية المحتلة... ولقد رأت أخواتنا، ممثلات المرأة العالمية في أنقاض قنيطرتنا المحررة، مشاهد من التدمير الوحشي الرهيب، التدمير النازي العنصري» ما من عبث كانت المرأة شرفاً في لوح المحن، ومجداً في لوح الزمن، وذلك مع أبعد نجم...

وحدها المرأة مظلومة وتقاوم الظلم

وحدها تدفع ابنها وزوجها ووالدها، وتدعمهم

وحدها تظلم في وطننا، وانتماؤها الوطني لا تشوبه شائبة

وحدها تترسخ في الأرض ولا تغادر

المرأة قلب يخفق للدكتورة نجاح العطار شهادة توثيقية مهمة تثبت مكانة المرأة العربية، والمرأة السورية تحديداً، التي تصدرت المشهد الاجتماعي العربي والعالمي بما أسسه القادة والسياسيون وجعلوه منهجاً لسورية والمرأة السورية.

«جماليات اللّسان في الصمت والكلام»

سارة سلامة

إلى الذين يحبون اللغة العربية... ويعملون على حمايتها، وتحصينها، والارتقاء بها.. وتعزيزاً للانتماء القومي وحفاظاً على الهوية الثقافية لأمتنا العربية.. أقدم هذا الجهد المتواضع.. هذا هو الإهداء الذي خصه الكاتب محمد جميل الخطاب في كتابه «جماليات اللسان في الصمت والكلام»، الذي صدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب، محتوياً ستة فصول.

وتحدث الخطاب عن أهمية لغتنا العربية معتبراً أنها أرسخ ركن في بناء هويتنا القومية، وأنها وجدان أمتنا التي قدمت للإنسانية الأبجدية الأولى، وأن اللغة العربية هي مستودع تراثنا، وقلعتنا الحصينة.

كما نوه الخطاب بالخطر المحدق الذي يعصف بأمتنا وفكرها ولغتها والخطر لا يتمثل بالأجانب فحسب، بل من كل نفر من أفراد الأمة وأنه لابد من أن يستشعر الغيورون على اللغة العربية بالأخطار المحدقة بها، والتصدي لمحاولات الانتقاص من مكانتها، وتضييعها ودعا إلى تحصينها وحمايتها.

استشهد بدعوة سامية وجهها الرئيس بشار الأسد في خطاب القسم حيث قال: «عندما تضعف اللغة العربية، من السهل أن يضعف أي ارتباط آخر لنا، سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، بالنسبة للدين، فهذه الأمور ترتبط باللغة، ويجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا واعلامنا وتعليمنا كائناً حياً ينمو ويتطور.

الفصل الأول جاء بعنوان «اللغة والهوية والانتماء»، وكان بمثابة تعريف باللغة وأهميتها وعلاقتها بهويتنا وانتمائنا:

اللغة: هي أداة التفاهم واكتساب المعرفة، وإنماء الفكر وهي أمتن رابط يشد الأفراد، ويكوّن من مجموعهم أمة متميزة قادرة على البقاء والنمو.

واللغة هي القلب من قوميتنا العربية، لأنها الخضم الذي انصبت فيه روافد عادات الأمة، وتقاليدها، ومثلها، وسائر سماتها المميزة ولأنها السبيل التي لا سبيل سواها لوصل حاضر الأمة بماضيها.

الفصل الثاني كان تحت عنوان «اللغة العربية القراءة والكتابة»، تحدث فيه عن المخاطر التي تعصف باللغة العربية ومنها الاستخدام الشائع للعامية بدلاً من الفصيحة ما يؤدي إلى تشويه اللغة العربية وإضعاف ملكة اللسان قائلاً:

إن ضعف المدرّس هو أساس ضعف الطالب الذي أخذ اللغة على يد مدرّس ضعيف، فرضع الضعف منذ بداية تعلّمه مع مدرّس يلقّنه العامية في شرحه، وحديثه، وكلامه. والطفل بطبعه في مراحل تعلمه الأولى مقلّد ماهر لأستاذه. حيث تكون عملية الاكتساب من لسان يلوك العامية سهلة ميسورة. ثم يعود إلى البيت ليسمع الجزء الآخر فلا مناص من الإغراق في العامية في المدرسة والبيت.

وأكد الخطاب أهمية القراءة في تكوين شخصية الطفل: إن توليد حب القراءة في نفوس الطلاب من أهم الأهداف التي ينبغي أن يسعى إلى تحقيقها المعلمون والآباء. وتبدو قيمة هذا المنحى إذا أدركت أهمية ما تؤكد عليه التربية الحديثة، من الاتجاه إلى العناية بغرس مهارات التعلم الذاتي، والتعلّم المستمر لدى الطلاب منذ نعومة أظفارهم. وتعتبر القراءة الوسيلة الفاعلة لتحقيق هذا الاتجاه.

في الفصل الخامس تحدث فيه عن اللسان ودوره في الأدب والحياة «المحاسن والعيوب»، فاعتبر اللسان من أهم أدوات التعبير عن الذات والمجتمع، والفن والنقد، والأدب وقضايا المعرفة كلّها. وهو اللّغة التي يعبّر بها كل قوم عن مقاصدهم وأغراضهم، ومشاعرهم:

اللّسان: مفرد، والجمع ألسنة إذا ذكّر، وألسن إذا أنّث والقوم لسن، والرجل لسن إذا كان فصيحاً.

وقد غنيت الاشتقاقات في مادة اللّسان، فاتسعت الدلالة، فالفعل لسنه يلسنه لسناً: أخذه بلسانه كقول طرفة ابن العبد:

وإذا تلسنني ألسنها أنني لست بموهون فقر

فاللسان خلقه الله مادة للتذوق، ووسيلة للنطق، والبيان والإفصاح عمّا يجول في الفكر ويخطر في البال من قضايا المعرفة.

ولقد جاء في تراثنا أن مكارم الأخلاق عشر أولها: صدق الحديث، وصدق اللّسان. فماذا نقول في إنسان يمارس اللّفّ والدوران، ولا يعرف الصراحة، والصدق في أي عمل يمارسه؟ إنما يتحرك وهو في كل حركة من حركاته يمارس الكذب حتى إنه ليتنفس كذباً ظاناً أن في هذا شطارة وهو في الحقيقة يحمل على كتفه عاره وهوانه.

الفصل السادس تحدث الخطاب عن الصمت حيث جاء هذا الفصل تحت عنوان «جماليات الصمت في الأدب والحياة» قال فيه:

الصمت! وليس فيه سوى الصمت؟ وهل يعني ذلك أنه وجود لآثار تدلّ عليه، ولغة تبوح بأسراره، وتاريخ يفصح عن حقيقته؟ إن المنطقة الأكثر سواداً وتعتيماً وإهمالاً في حياتنا هي منطقة الصمت هذا إذا جاز لنا أن نستخدم هذه العبارة مقابل منطقة الكلام.

ولكن الذي يدقّق في حقيقة الكلام، وحراكه اللفظي فلا بدّ أن يكتشف أن هناك ما هو أكثر حضوراً منه رغم أنه غير محسوس به. وما هو أكثر تجلياً منه، رغم أنه غير ملموس، أو غير مقروء، أو مرئي ذلك هو فعل الصمت الذي يندرج ظلماً باستمرار ويتلاشى، ويتغيّب تحت إمرة الكلام.